



The Analysis of Anachrony in *Lines of Darkness* Based on Gérard Genette's Narrative Time

Fatemeh mohabbat¹, sajjad esmaili^{*2}, alireza hoseini³

Abstract

In novels, time often follows a linear progression. However, at times, a kind of temporal disorder emerges in the narrative time, which Gérard Genette, the French structuralist theorist, has termed "anachrony". The novel *Sutoor al-Atmah (Lines of Darkness)* by Walid al-Hodali presents a tumultuous ninety-day perspective of Amer (the story's protagonist) in the dungeons of Zionism, where the element of time plays a significant role in shaping the reader's perception of the main character's believable life, psyche, and traits. The story of *Sutoor al-Atmah* engages with a disruption of the three temporal dimensions (past, present, future) and, given its numerous temporal shifts, aligns well with Gérard Genette's theory of narrative time. Therefore, the present study examines anachrony in this novel based on Genette's concepts of temporal order and sequence, using a descriptive-analytical method. This study finds that the novel corresponds with Genette's theory of anachrony. Walid al-Hodali frequently disrupts the linear order and sequence of the narrative, employing various forms of analepsis (flashbacks) and prolepsis (flashforwards) within the narrative text. This enriches the characters and events with greater depth and complexity. In addition to aiding in the emotional understanding of the characters, these temporal distortions transform the reading experience into a deeper reflection on the concept of time and how it influences human experiences.

Keywords: Arabic Narratology, Narrative Time, Anachronism, Gérard Genette, Sata'er al-Atma, Walid al-Hudeli

Received: 07/03/2025

Accepted: 21/05/2025

¹ Master's student of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Humanities, Imam Khomeini International University, Qazvin, Iran. s4012184008@edu.ikiu.ac.ir

² Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Humanities, Imam Khomeini International University, Qazvin, Iran (Corresponding Author). esmaili@hum.ikiu.ac.ir

³ Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Humanities, Imam Khomeini International University, Qazvin, Iran. a.hosseini@hum.ikiu.ac.ir





فصلية دراسات في السردانية العربية

الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٢٦٧٦-٧٧٤٠

الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٢٧١٧-٠١٧٩



جامعة الخوارزمي

مقالة علمية محكمة

دراسة المفارقة الزمنية في رواية "ستائر العتمة" على ضوء نظرية الترتيب الزمني لجيرار جنيت

فاطمة محبت^١ سجاد اسماعيلي^{٢*} عليرضا حسيني^٣

الملخص

تتبنى الروايات عادةً بنية زمنية خطية، غير أنها كثيراً ما تشهد تغيرات زمنية تُعرف اصطلاحاً بـ«المفارقات الزمنية» وفق التصنيف الذي وضعه المنظر البنوي الفرنسي، جيرار جنيت. تشكل رواية «ستائر العتمة» للكاتب وليد الهودي نموذجاً بارزاً لهذه الظاهرة، حيث تعرض الرواية تسعين يوماً من حياة البطل «عامر» في سجون الاحتلال الصهيوني مع تركيز خاص على الدور المحوري للزمن في تعميق تصديق القارئ للشخصية الرئيسة وسماتها النفسية. تتميز هذه الرواية بتعاملها الإبداعي مع الثالوث الزمني (الماضي، الحاضر، المستقبل) عبر تحولات زمنية متكررة، مما يجعلها مادة خصبة للتطبيق النظري لمقولات جنيت في السرد الزمني. إذن تهدف هذه الدراسة معتمدة على المنهج الوصفي-التحليلي إلى دراسة المفارقات الزمنية في هذه الرواية انطلاقاً من التصنيف الثلاثي الذي وضعه جنيت (النظام، المدة، التكرار). تؤكد نتائج الدراسة أن رواية «ستائر العتمة» تمثل نموذجاً إبداعياً لتوظيف المفارقات الزمنية وفق نظرية جنيت. حيث انتهج وليد الهودي استراتيجية واضحة في كسر التسلسل الزمني التقليدي من خلال الاستخدام المكثف لتقنيي الاسترجاع (الفلاش باك) والاستباق (الفلاش فورورد). وقد أسهم هذا التوظيف في تحقيق أبعاد دلالية ونفسية عميقة، لم تقتصر على تعميق فهم الشخصيات، بل نقلت تجربة القارئ من مستوى التلقي السطحي إلى مستوى التأمل الفلسفي في مفهوم الزمن وتأثيره على التجربة الإنسانية.

الكلمات الدلالية: السردانية العربية، الزمن، المفارقة الزمنية، جيرار جنيت، ستائر العتمة، وليد الهودي.

تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٠٥/٢١

تاريخ الوصول: ٢٠٢٥/٠٣/٠٧

الشتاء (٢٠٢٥م)، السنة السابعة، العدد ١٩، صص. ٨٥-١٠٠

١ طالبة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الإمام الخميني الدولية، قزوین، ایران.
s4012184008@edu.ikiu.ac.ir

٢ أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الإمام الخميني الدولية، قزوین، ایران. (الكاتب المسؤول).
esmaili@hum.ikiu.ac.ir

٣ أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الإمام الخميني الدولية، قزوین، ایران.
a.hosseini@hum.ikiu.ac.ir



١. المقدمة

يُعدُّ الزمن أحد المقولات الأساسية في حياة الإنسان، ولا يُمكن تجاهل تأثيره في حياته اليومية؛ إذ إن كل نشاط يُمارَس ضمن نطاقٍ زمني. كما يقال: «تتبقى بعض تصوراتنا عن عنصر الزمن من الظواهر الطبيعية: الليل والنهار، والسنة الشمسية وفصولها الأربعة، وغير ذلك» (ريمون كينان، ١٣٨٧: ٦١). الزمن والسرد يرتبطان بعلاقة وثيقة لا انفكاك لها. فلا يمكن تصور أحدهما دون الآخر. وبعبارة أخرى، كل سرد يحدث ضمن مقطع زمني محدد ولا يُمكن تخيل سرد خارج إطار الزمن. «الروايات هي حكايات مختلقة تنكشف عبر الزمن» (آسبرغر، ١٣٨٠: ١٧٤). لقد تطرق العديد من المفكرين إلى مفهوم الزمن. ومن بينهم الباحث الفرنسي «جيرار جنيت» الذي يُعتبر أب علم السرديات (أحمدي، ١٣٧٥: ٣٠٨). «قدّم جنيت أعمق تحليلٍ لعدم التوافق بين زمن القصة وزمن النص» (لوته، ١٣٨٨: ٧٢). ومن وجهة نظره، «تنتمي المقولة الزمنية إلى العلاقة بين خطين زمنيين: الأول هو زمن الخطاب السردية (المتمثل في تسلسل الحروف على الصفحة وترتيب الصفحات في المجلد)، والثاني هو زمن العالم القصصي، وهو أكثر تعقيداً بكثير» (تودوروف، ١٣٩٢: ٥٥). قدّم جنيت ثلاثة أنواع من العلاقات بين زمن النص وزمن القصة: ١. النظم (الترتيب) ٢. المدة (الاستمرارية الزمنية) ٣. التكرار (التواتر)، حيث لم يسبق لأحد أن يتناولها بهذا الشمول قبله. يُعنى الترتيب بتسلسل الأحداث على مستويي القصة والنص وقد تكون العلاقة الزمنية بين المستويين طبيعية تارةً وتارةً أخرى قد تنشأ حالة من الاختلال الزمني الذي أطلق عليه جنيت مصطلح المفارقة الزمنية وهو انفكاك الحدث أو الفكرة عن سياقها الزماني/المكاني الأصلي وإعادة تصوّرها في سياق آخر، ويتجلى هذه المفارقة في شكلين رئيسيين: الاسترجاع والاستباق (سرباز وآخرون، ١٣٩٤: ٨٣). تندرج رواية «ستائر العتمة» للكاتب الفلسطيني وليد الهودلي ضمن تلك الروايات التي تسير أحداثها بشكل تصاعدي ومتسلسل، حيث يواجه القارئ تتابعاً زمنياً منتظماً للأحداث الروائية، غير أننا نلاحظ في بعض المقاطع الروائية خروجاً عن هذا المسار الخطي للزمن عبر المفارقات الزمنية التي تتجلى في الاسترجاع والاستباق. إذن في هذا الإطار، نحاول هذا البحث إلى دراسة وتحليل ظاهرة المفارقة الزمنية في الرواية المذكورة انطلاقاً من نظرية الترتيب الزمني لجيرار جنيت.

١.١ أسئلة الدراسة

بناءً على الهدف الرئيسي للدراسة، سنحاول الإجابة عن السؤالين التاليين:

١. كيف تتجلى أنماط «المفارقة الزمنية» في رواية «ستائر العتمة»؟

٢. ما الآليات والدوافع التي أدت إلى استخدام الاسترجاع الخارج، كعنصر مهمين في النسيج الروائي لرواية «ستائر العتمة»؟

٢.١ الدراسات السابقة

شهدت الدراسات النقدية إنتاجاً بحثياً متنوعاً حول تطبيق نظرية جيرار جنيت في تحليل الروايات، وقد أسفر ذلك عن عدد من الأبحاث العلمية التي يمكن إجمال أبرزها فيما يلي:

رسولي وآخرون (١٣٩٢) في بحثهم الموسوم بـ«تحليل زمان روائي در رمان "النهايات" عبدالرحمن منيف براساس ديدگاه زمانى ژرار ژنت» (تحليل الزمن الروائي في رواية "المنتهيات" لعبد الرحمن منيف بناءً على مفهوم جيرار جنيت للزمن الروائي) تناولوا المفارقات الزمنية وأبعاد التمثيل الزمني باستخدام المنهج التحليلي الجيني. سرباز وآخرون (١٣٩٣) في مقالهم المعنون بـ«زمان پریشی در رمان

جراغهای آبی حنا مینه» (المفارق الزمنية في رواية "أضواء حنا الزرقاء" لحنا مینه) (ركزوا على اضطرابات الزمن السردی وأنماط الخرق الزمني في النص الروائي. وفائي وإقبالي (١٣٩٦) في دراستهما الموسومة بـ«بررسی موارد زمان‌پریشی در رمان "خورشید"، براساس نظریه‌ی زمان‌روایی ژرار ژنت» (دراسة المفارقات الزمنية في رواية "الشمس" بناءً على نظرية الزمن السردی عند جيرار جينيت) (حللاً ظاهرة اختراق الزمن الحاضر في السرد وأنماط الاسترجاعات السردية. توکلي مقدم (١٣٩٧) في رسالته الموسومة بـ«بررسی عنصر زمان در رمان کلیدر براساس نظریه ژرار ژنت» (دراسة العنصر الزمني في رواية "کلیدر" بناءً على نظرية جيرار جينيت السردية)، تناول موضوع الزمن السردی ومكوناته مع تركيز خاص على ظاهرة المفارقة الزمنية. تاجي (١٣٩٧) في رسالته المعنونة بـ«بررسی زمان‌روایی در سه رمان امیرحسین فردی/گِرگ سالی، سیاه چمن، اسماعیل» (دراسة الزمن السردی في ثلاث روايات لأمرحسين فردي: "ذئاب السنة"، "المرعى الأسود"، "إسماعيل" - تحليل وفق المنظور الجينيّ)، قام بتحليل الثالوث الجينيّ أي: النظام، المدة، والتكرار في النصوص المدروسة. خسروی و سزبان پور (١٣٩٨) في مقالتهما بعنوان «تحليل أنواع زمان‌پریشی در داستان کوتاه "حریق ذلك الصيف" غاده السمان براساس نظرية ژرار ژنت» (تحليل أنواع المفارق الزمنية في القصة القصيرة "حریق ذلك الصيف" لغادة السمان - دراسة سردية وفق نظرية جيرار جينيت)، قاما برصد وتوصيف استخدام تقنيات المفارقة الزمنية استرجاع/استباق في قصة "حریق ذلك الصيف". آشور ماهاني (١٤٠٣) في رسالته المعنونة بـ«خوانش روايي رمان جسر بنات یعقوب بر اساس نظریه ژرار ژنت» (قراءة سردية لرواية "جسر بنات یعقوب" في ضوء نظرية جيرار جينيت)، تناول تقنيات التشكيل السردی في الرواية المذكورة مع تقييم مدى فعالية الخطاب الروائي في هذا العمل. وفي مجال دراسة رواية "ستائر العتمة" هناك بعض الدراسات القليلة التي نذكرها: دراسة مصطفى كلاب (٢٠١٦) المعنونة بـ«العلامة والرواية: قراءة سيميائية في رواية "ستائر العتمة" لوليد الهودلي» التي حاولت التحليل السيميائي للفضاء الروائي مع التركيز على مفاهيم: العلامة والعلامة الزمنية والعلامة المكانية والعلامة المادية ودراسة أخرى لنفس الباحث (٢٠١٧) بعنوان «عتبات النص في رواية "ستائر العتمة" لوليد الهودلي: دراسة سيميولوجية سردية»، حلل فيه باستخدام المنهج الوصفي-التحليلي، عتبات النص وآليات تلقيها وتأثيرها في فهم الخطاب السردی. كما يتضح من الدراسات السابقة، لم يُجر حتى الآن أي بحث مستقل حول المفارقة الزمنية في رواية «ستائر العتمة» وفق نظرية الترتيب الزمني لجيرار جينيت، مما يُضفي على هذه الدراسة سمة الابتكار وأصالة الموضوع.

٢. نظرة إلى نظرية جيرار جينيت

لقد طرح جيرار جينيت أحد أبرز البنيويين الفرنسيين، إطاراً شاملاً ومتكاملاً لتحليل النصوص الروائية. وفي كتابه «خطاب السرد» قدّم آراءه ونظرياته انطلاقاً من تحليل رواية «البحث عن الزمن المفقود» لمارسيل بروست. وركزت آرائه على تحليل ثلاثة جوانب من الخطاب السردی، وهي: «الزمن» و«الوجه» و«اللمح»، حيث ينقسم الجانب الأول (الزمن) بدوره إلى ثلاثة عناصر فرعية: «الترتيب» و«الديمومة» و«التواتر» وبالنظر إلى طبيعة هذه الدراسة، سنتناول تحليل عنصر «الترتيب» في رواية ستائر العتمة فحسب.

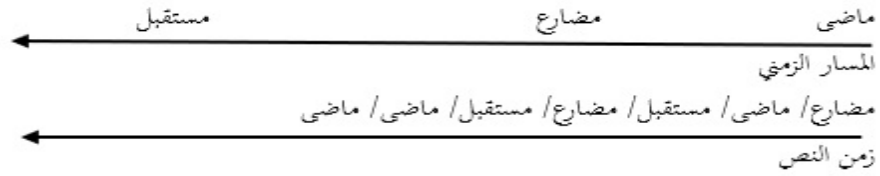
٢.١. الترتيب

يشير الترتيب إلى تسلسل وقوع الأحداث في القصة وتدرج سردها في النص وهو يقوم على الإجابة عن سؤال «متى؟». «ومن القضايا المهمة التي تناولها جينيت هي التداعيات الضمنية للعلاقة غير المتوازنة بين زمن القصة وزمن الخطاب (النص)، والتي تؤدي إلى الانقطاع



الزمني أو المفارقة الزمنية (الأناكرونيا) «(قاسمي بور، ١٣٨٧: ١٣١) «أما العبارات المتعلقة بالنظم فتأتي في صيغ لغوية مثل: أولاً وثانياً وأخيراً وقبل وبعد وغيرها، لتجيب عن سؤال «متى؟» (ريمون كينان، ١٣٨٧: ٦٥). تسير معظم الأحداث في الرواية بشكل أفقي من الناحية الزمنية وتتوالى تبعاً إلا أنه قد يحدث نوع من الاختلال في هذا العنصر، أطلق عليه جيرار جنيت مصطلح المفارقة الزمنية والذي يعتمد على «الاسترجاع» (الرجوع إلى الماضي) و«الاستباق» (التطلع إلى المستقبل). يُعرّف جنيت المفارقة الزمنية بأنه كسر المسار الخطي لترتيب الأحداث في الخطاب السردى مقارنة بترتيب تلك الأحداث نفسها في القصة. وبعبارة أخرى، فإنّه «يعتبر أيّ تغيير في ترتيب عرض الوقائع في النص مقارنة بترتيب وقوعها الفعلي في القصة بمثابة المفارقة الزمنية» (تولان، ١٣٨٦: ٧٩).

شكل ١. المفارقة الزمنية من منظور جنيت (قاسم، ٢٠٠٤: ٤٢)



٣. تلخيص رواية «ستائر العتمة»

صدرت رواية «ستائر العتمة» للكاتب وليد الهودي في عام ٢٠٠٣ عن «المؤسسة الفلسطينية للإرشاد الوطني وبيت الشعر»، بعد أن تم تأليفها عام ٢٠٠١. وقد تُرجمت الرواية إلى اللغة الفارسية بواسطة المترجمة سماعة كندمي ونشرتها دار نشر «إشتار». تتناول الرواية قصة هروب ستة أسرى فلسطينيين من الأسر ثم إعادة اعتقالهم، حيث تركز على عدة محاور رئيسية: ظروف الاعتقال والتحقيق وأوضاع السجون وأساليب التعذيب التي يمارسها المحققون الإسرائيليون ضد الأسرى الفلسطينيين. وفعلاً أن الكاتب وليد الهودي نفسه من الأسرى الفلسطينيين المحررين وقد سعى من خلال هذا العمل الروائي إلى تصوير معاناة الأسرى الفلسطينيين، وتوثيق مراحل التحقيق القاسية. تُروى الأحداث على لسان البطل «عامر» الذي خضع لتسعين يوماً من التحقيق المتواصل. تبدأ الحكبة عندما قرر عامر — بعد الأثر الذي خلّفته الانتفاضة الثانية في نفوس المقاومين الفلسطينيين — القيام بعملية ضد الكيان الصهيوني مع تلميذه «نبيل» و«إبراهيم»، إلا أن العملية تفشل ويتم اعتقال الثلاثة. يُنقل عامر إلى الزنزانة، حيث يُشاركها مع جاسوس يعمل لصالح العدو. وبعد خضوعه لتحقيقات مكثفة على يد أربعة محققين، يُحكّم عليه بالسجن لفترة طويلة. ورغم أن عامر يُبدي تفاؤلاً في نهاية الرواية ويُشير إلى اتفاق تقوم بموجبه إسرائيل بإطلاق سراح عددٍ من الأسرى الفلسطينيين مقابل الحصول على معلوماتٍ عن قوّاتها إلا أن المصير النهائي لعامر يظلّ غامضاً، وكذلك المدة التي سيقضيها خلف القضبان.

٤. تحليل المفارقات الزمنية في رواية «ستائر العتمة»

تقدّم رواية «ستائر العتمة» من خلال توظيف تقنية المفارقة الزمنية، سرداً غير خطي لا تتابع فيه الأحداث وفق ترتيب زمني تقليدي. يعمل النص على التموج باستمرار بين الاسترجاع (الرجوع إلى الماضي) والاستباق (التطلع إلى المستقبل)، مُتيحاً للقارئ تجربة سردية



ديناميكية متعددة الأبعاد. يستثمر الهودلي بكفاءة عالية كل إمكانيات عنصر الزمن في الرواية، حيث ينتقل من الزمن التقويمي إلى الزمن السردى، محدثاً - عبر إعادة ترتيب النسق الزمني الخطي - نوعاً خاصاً من التزمّن (الزمنية السردية) تتميز به الرواية. تبدأ الرواية من اليوم الأول لاعتقال «عامر» في زنزانه، وتُروى الأحداث من منظور هذا الشخص المحوري، حيث يقوم نسج الرواية على المشهد المضطرب لتسعين يوماً قضاها عامر في أقبية الاحتلال الصهيوني. تُسرد الوقائع أولاً وفق تسلسل زمني واقعي، لكن الراوي يعتمد أثناء السرد إلى توظيف المفارقة الزمنية بنوعها: الاسترجاع الزمني لنقل الخلفية التاريخية أو تقديم الشخصيات والاستباق الزمني لخلق التشجيع وتحفيز القارئ. يُشير الكاتب من خلال هذه التذبذبات الزمنية إلى العالم المضطرب النفسي الذي يعيشه عامر. وهكذا، بينما تتقدم الرواية بشكل منتظم على المستوى السطحي، فإنها في أعماقها تركز على الحالة النفسية المضطربة للبطل. وهكذا، بينما تتقدم الرواية بشكل منتظم على المستوى السطحي، فإنها في أعماقها تركز على الحالة النفسية المضطربة للبطل. يُعدّ التركيز على البعد الزمني وخاصة اختيار بؤرة السرد المناسبة، عاملاً حاسماً في تعزيز مصداقية تجربة الاعتقال والتحقيق القاسية التي يمر بها الشخصية الرئيسية (عامر) في خلد القارئ. ففي هذه الرواية يُقابل الهودلي بمهارة بين الزمن الموضوعي والزمن الذاتي. حيث يغطّي الزمن التقويمي للرواية، والفترة التالية لاعتقال عامر ونبيل وإبراهيم وسجنهم في الزنزانة الانفرادية، إلا أن الكاتب يستثمر هذا الإطار الزمني المحدود لسرد أحداث ما قبل الاعتقال وتجربة عامر خلال خمس سنوات في السجن.

٤.١. الاسترجاع الزمني

قد يعود الراوي أثناء سرد القصة من الزمن الحاضر إلى الماضي ليستحضر أحداثاً وقعت سابقاً وهذا ما يُعرف بالاسترجاع. يُنقل هذا النوع من السرد بزمن الماضي ويُعرّف بأنه: «تذكير الأحداث القصصية في جزء من النص حيث سبق أن تمّ سرد أحداث لاحقة، أي أن السرد يقفز إلى نقطة سابقة في القصة» (لوتنه، ١٣٨٨: ٧٣). «على الإطلاق، تقع مهمة سدّ الفجوات في السرد الرئيسي على عاتق الاسترجاعات، على الرغم من أن هذه الفجوات والفراغات تُعدّ من الحيل والتقنيات التي يستخدمها الكاتب» (خائفي ومباركي، ١٣٩١: ٥). أما تولان فيُعرّف الاسترجاع بأنه: «حركة زمنية لا متزامنة نحو الماضي، حيث يُروى الحدث -الذي وقع زمنياً في مرحلة مبكرة- في مرحلة متأخرة من النص» (تولان، ١٣٨٦: ٨٠). يقسّم جنيت الاسترجاع بحسب علاقته بالمسار الزمني الرئيسي للقصة إلى نوعين: الاسترجاع الخارجي والاسترجاع الداخلي.

تتخذ رواية «ستائر العنمة» من تقنية الاسترجاع منهجاً سردياً، كما تتجاوز التسلسل الزمني الخطي للأحداث. حيث يعتمد الكاتب إلى نوع من الاسترجاع عن الزمن التقويمي، فيتم سرد الأحداث الواقعة في الماضي في مرحلة لاحقة من النص. فيعود الراوي عبر المونولوج الداخلي أثناء الزمن الحاضر إلى الماضي، مستعيداً ذكريات التحقيقات والسجن الذي جرّبه مسبقاً، ويعود مرة أخرى إلى الحاضر. تبدأ الرواية باسترجاع ذهني من عامر وما يتذكرها من لحظة العملية. على الرغم من احتفاظ السرد ببنية زمنية شبه منتظمة إلا أن الراوي يعود إلى ذكريات وأحداث ماضية لتقديم الشخصيات وتطويرها. في مستهلّ السرد، نجد الزمن حاضراً حيث يعود عامر - بعد الاعتقال والحبس في الزنزانة - إلى الماضي. يتمحور الزمن الخارجي في الرواية حول لحظة اعتقال عامر، بينما ينصرف الزمن الذهني (الداخلي) إلى استحضار تجربة سجنه الأولى قبل خمس سنوات، ومرحلة الدراسة الجامعية، وصادقته مع نبيل وإبراهيم، وأسفاره. لم يكن سرد كل هذه الأحداث بالاعتماد على الزمن الخطّي التقليدي ممكناً، لذا اتّجه الكاتب إلى توظيف تقنية المفارقة الزمنية لرواية هذه الوقائع.



٤.١.١. الاسترجاع الداخلي

يستحضر حدثاً ماضياً وقع بعد بداية السرد الأولي أو يُروى بشكل استذكاري أو خارج الإطار الزمني المحدد للسرد الأساسي لأول مرة (رمون كينان، ١٣٨٧: ٦٥-٦٧). وينقسم الاسترجاع الداخلي إلى نوعين: الاسترجاع الداخلي الرئيسي: عندما يتعلق بالشخصيات أو الأحداث المحورية في النص السردى والاسترجاع الداخلي الفرعي: عندما لا يرتبط بالأحداث أو الموضوع الرئيسي للقصة. في هذا النوع من الاسترجاع، يعود السرد إلى بداية القصة. يُوقف الهودلي -منذ مقدمة الرواية- حركية الأحداث عبر تقنية الاسترجاع، حيث يلجأ في الفقرة الافتتاحية للرواية إلى استحضار أحداث وقعت في الماضي. غير أن هذا الماضي ليس بعيداً جداً عن زمن بدء القصة، بل هو قريب ويعود إلى ما بعد لحظة بدايتها. يُعدّ هذا الاستحضار استذكاريّاً ذهنياً تقوم به الشخصية المحورية «عامر». أوّل نموذج للاسترجاع الداخلي الرئيسي في رواية «سائر العتمة» يظهر في المقطع الافتتاحي للرواية، حيث يعيد عامر -عبر المونولوج الداخلي المباشر- سرد لحظة العملية وهو في زنزانته. يتجول عامر في الزنزانة ويستعيد ذهنياً تفاصيل العملية لحظة بلحظة، محاولاً اكتشاف سبب اعتقالهم. تبدأ الرواية بالعودة إلى لحظة العملية، فيشرع عامر -وهو في زنزانته- بإعادة تصوير تلك اللحظة في ذهنه ويصف ظروف لحظة العملية بتفصيل ذهني دقيق: «أَصْبَحْتُ السَّيَّارَةَ الْمَرْصُودَةَ فِي دَائِرَةِ الْمَدْف.. تَحِيّاً الطَّوْفَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ تَمَاماً كَمَا هُوَ مرسوم.. أَرخِي اللَّيْلُ سَنَائِرُهُ السَّوداء.. اخْتَفَى مِنَ الْوُجُودِ كُلُّ شَيْءٍ.. لَمْ يَدَعْ هُنَاكَ شَاهِدًا إِلَّا اللَّهَ.. اخْتَفَى الْبَشَرُ وَالشَّجَرُ وَالْحَجَرُ فِي ظِلْمَةِ هَذَا اللَّيْلِ الْبُهِيمِ.. الصَّمْتُ الْمُطْبِقُ لَا يَنَالُ مِنْهُ شَيْئاً سِوَى زَفِيرِ سَيَّارَتَيْنِ وَأَنْفُسِنَا الْمُتَلَحِّقَةِ وَطُرُقَاتِ الْقُلُوبِ يَغْلُو وَجْهِيهَا..» (الهودلي، ٢٠٠٣: ٧). هذا الاسترجاع داخلي ولا يخرج عن النقطة الأولية لبداية القصة (زنزانة السجن). وبما أنه يتعلق بلحظة العملية التي قام بها عامر، فإنه يُعتبر استرجاعاً رئيسياً. ثم يواصل عامر هذا الاسترجاع ويخاطب نفسه قائلاً: «وَيَا لَهَا مِنْ لَحْظَاتٍ عَظِيمَةٍ يَتَرَعَّبُ فِيهَا صَوْتُ الرِّصَاصِ عَلَى رُؤُوسِ الظَّالِمِينَ.. أَصْبَحْتُ سَيَّارَتَنَا بِمَحَادَاةٍ سَيَّارَتِهِمْ كَتَلَهُ الْخَفْدُ الَّذِي تَسِيرُ عَلَيَّ أَرْبَعِ عَجَلَاتٍ تَتَنَاقَشُهَا وَشَقَّاتٍ بَنَادِقَنَا، نَبِيلٌ يُحْسِنُ التَّصْوِيبَ.. أَصَابَ السَّائِقُ الْمُسْتَوْطِرُ فِي مَقْتَلٍ.. اخْرَفَ عَنِ الشَّارِعِ وَرَاحَ يَهْوِي فِي الْوَادِي الْحَادِي.. تَضَرَّجُوا بِدِمَائِهِمْ وَخَرَّ عَلَيْهِمْ سَقْفُ أَخْقَادِهِمْ الَّذِي بَنَوْهُ مِنْ أَشْلَاءِ شَعْبِنَا إِنَّهُ لَأَكْمَرُ رَائِعٍ يَا عَامِرُ، عَمَلِيَّتُهُ نَاجِحَةٌ وَ مُبَارَكَةٌ وَلَكِنْ مَا الَّذِي حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟ كَيْفَ أَوْصَلْتُهُمْ تَحْرِيَاتِهِمْ إِلَى إِعْتِقَالِنَا؟ كَيْفَ وَقَعْنَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ رَغْمَ كُلِّ الْأَحْتِيَاظَاتِ وَ التَّدَابِيرِ الَّتِي حَسَبْنَا حِسَابَهَا أَلْفَ حِسَابٍ؟» (المصدر نفسه، ٢٠٠٣: ٨). يُعدّ هذا الاسترجاع داخلياً لارتباطه بالمسار الرئيسي للرواية، ورئيسياً لتعلّقه بالعملية التي قام بها عامر. وقد برع الكاتب في تضمين نصّه قفزاتٍ زمنية إلى الماضي عبر المونولوج الداخلي لعامر، مُضيفاً بذلك جماليّةً وجاذبيّةً على السرد، ومُحقّقاً القارئ على متابعة الأحداث. تظهر نماذج أخرى للاسترجاع الداخلي الرئيسي في هذه الصفحات: ٨، ١١، ٢٤، ٣٨، ٤٣، ٨٠، ٨٧، ١٣٢، ١٥٠، ١٥١ من الرواية.

أما أوّل نموذج للاسترجاع الداخلي الفرعي فيظهر حين يُبدي عامر شكّاً في زميله في الزنزانة، فيخاطب نفسه داخليّاً: «عُدْتُ لِشَوْءٍ الظَّنِّ؟ أَلَمْ تَلْحَظْ صَلَاتَهُ وَ اسْتِعْرَافَاتِهِ فِي ذِكْرِ اللَّهِ؟.. عَامِرُ أَنْتَ تَعْلَمُ أَهْمُ يُجِيدُونَ التَّمْثِيلَ، لَنْ أَخَذَ كَلَاماً عَلَيَّ عَوَاهِنَهُ.. عِنْدِي مُعْمَلٌ تَحْلِيلُ الْمَعْلُومَاتِ يَعْمَلُ خَيْدًا» (ن، ١٨). يشير عامر إلى صلاة زميله في الزنزانة، مما يُشكّل استرجاعاً داخلياً فرعياً، نظراً لارتباطه بشخصية فرعية (الزميل). ويظهر نموذج آخر للاسترجاع الداخلي الثانوي في الرواية عندما يدور حوار بين عامر وزميله، حيث يتلخّص عامر للحصول على معلومات عن نبيل وإبراهيم، فيبدأ الزميل بسرد لقاءه مع نبيل في السجن رقم ٧. وهنا نلاحظ استرجاعاً داخلياً فرعياً، حيث تُبني كلمة «أذكر» بالاسترجاع الزمني الداخلي من قِبَل الزميل: «أَذْكُرُ أَنَّ شَاباً يَدْعِي «نَبِيلَ» التَّقِيثَ بِهِ فِي زَنْزَانَةِ



(رقم ٧) .. يَا لَهُ مِنْ رَجُلٍ عَجِيبٍ .. أَصَرَ عَلَى التَّعْرِفِ إِلَيَّ وَ مُحَادَثِي رَغْمَ أَنِّي كُنْتُ مُرَهَقًا وَجَائِعًا لِلنَّوْمِ .. بَقِيَتْ عَلَى صَمِيٍّ وَ لَمْ أَسْتَجِبْ لَهُ رَغْمَ أَنَّهُ تَحَدَّثَ طَوِيلًا مَعِي .. أَشْكُ بِأَنَّهُ عُصْفُورٌ» (م.ن، ص ٢١). وبما أن هذا الاسترجاع يتعلق بنبل وإبراهيم، فإنه يُعد استرجاعاً فرعياً. ويمكن رصد نماذج أخرى للاسترجاع الداخلي الثانوي في هذه الصفحات: ٢٢، ٢٨، ٣٩، ٤٢، ٥٧، ٦١، ٨٠، ٩٦، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٥٩، ١٧٢ من الرواية.

٤. ١. ٢. الاسترجاع الخارجي

قد يقوم الراوي بعد الشروع في السرد الرئيسي، بإيقاف الخطاب السردى لاستحضار ماضٍ يجهله القارئ وسبق زمن السرد الأساسي. يُعرف هذا الأسلوب بالاسترجاع الخارجي. وهو يستدعي أحداثاً وقعت قبل النقطة الزمنية التي بدأ عندها السرد الأولي، ويغطي الفترة السابقة للأحداث الرئيسية، مماثلاً لما يحدث عند تقديم معلومات سابقة عن القصة (ريمون كينان، ١٣٨٧: ٦٥-٦٧). وينقسم الاسترجاع الخارجي إلى نوعين: الاسترجاع الخارجي الرئيسي: عندما يتعلق الأمر بشخصيات أو أحداث الموضوع المحوري للسرد والاسترجاع الخارجي الفرعي: عندما لا يرتبط بالأحداث أو الموضوع الرئيسي.

يتجلى الاسترجاع الخارجي (الماضي الخارجي) في بعض الأجزاء من رواية «ستائر العتمة» عندما يقوم الراوي باستحضار ذكريات وقعت في الماضي وخارج مسار القصة الرئيسية. حيث توجد العديد من أمثلة الاسترجاع الخارجي في الرواية، نظراً للضغوط النفسية التي يتحملها عامر. أول مثال من أمثلة الاسترجاع الخارجي الرئيسي في الرواية تحدث عندما يقول عامر عبر الحوار الداخلي: «كَيْفَ أَوْصَلْتُهُمْ تَحْرِيَاتِهِمْ إِلَى اغْتِقَالِنَا؟! كَيْفَ وَقَعْنَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، رَغْمَ كُلِّ الإِخْتِنَاطَاتِ وَالتَّدَابِيرِ الَّتِي حَسَبْنَا حِسَابَنَا أَلْفَ حِسَابٍ؟! أَيْنَ ذَهَبَتْ الْحَبْرَاتُ الْأَمْنِيَّةُ الَّتِي حَفِظْتُنَا فِي حَبْسِي الطَّوِيلَةِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ؟!» (الهودلي، ٢٠٠٣: ٨). هنا للمرة الأولى، يكشف عامر من خلال حوار الداخلي المباشر وبضمير المتكلم عن تجربة الأسر الطويلة التي عاشها، ويطلع القارئ عليها. يُعتبر هذا الاسترجاع خارجياً لأنه لم يُشار إليه مسبقاً في النص، بل يقدم معلومات سابقة، ولأنه يتعلق بالشخصية الرئيسية للرواية، فهو استرجاع رئيسي. وفي مقطع آخر من الرواية، غلب عامر النعاس بعد استجوابات متعددة وإرهاق نفسي وعقلي ويقول: «وَهُوَ يَتَذَكَّرُ أَيَّامَ الإِغْتِكَافَاتِ الَّتِي كَانَ شَبِيحُهُمْ يُدْرِجُهُمْ فِيهَا عَلَى السَّهَرِ مَا أَنْ يَطْلُعَ الْقَمَرُ إِلَّا وَ لِلنَّوْمِ لَذَّةٌ عَجِيبَةٌ يُسَارِعُونَ لِدَفْنِ أَنْفُسِهِمْ فِيهَا» (م.ن، ص ٦٩). يُعدُّنا الفعل "يَتَذَكَّرُ" للعودة إلى الماضي، وبما أنه يقع خارج مسار القصة الرئيسية، فإنه يُعتبر استرجاعاً خارجياً. ونظراً لارتباطه بـ"عامر" (الشخصية الرئيسية) فإنه يُصنَّف كاسترجاع رئيسي. ومن بين النماذج الأخرى للاسترجاع الخارجي الرئيسي التي يمكن مشاهدتها في الصفحات التالية: ١٠، ١٢، ٤١، ٤٦، ٥١، ٦٥، ٧٥، ٧٦، ٩٠، ٩١، ١٠٣ من الرواية.

من نماذج الاسترجاع الخارجي الفرعي يمكن الإشارة إلى مقطع يتحدث عامر مع الكابتن داني (المحقق الأول): «صَمَتَ قَلِيلًا، مَسَحَ جَبِينَهُ الَّذِي أَخَذَ يَتَصَبَّبُ عَرَقًا ثُمَّ تَابَعَ: -الْعَقْلَاءُ هُمْ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ... صَدَامَ حُسَيْنٍ أَلْقَى بِصَوَارِيخِهِ عَلَى دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ.. مَاذَا كَانَتْ النَّتِيجَةُ؟ طِيبَ إِنَّسَ «إِسْرَائِيلَ».. إِحْتَلَّ الْكُوَيْتَ، فَهَلْ سَمَحَ لَهُ الْعَالَمُ بِذَلِكَ؟! هُنَاكَ إِزَادَةٌ دَوْلِيَّةُ الْيَوْمِ، لَا تَسْمَحُ بِأَيِّ تَغْدِيلٍ إِقْلِيمِي، خَاصَّةً، فِي مِثْلَةِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ.. أَنْتَ شَابٌ مُثَقَّفٌ يَا عَامِرُ، وَتَفْهَمُنِي جَيِّدًا» (م.ن، ٤٠). إذن نرى أن هذا الاسترجاع يقع خارج المسار الرئيسي للقصة فهو استرجاع خارجي، وبما أنه غير مرتبط بالشخصية الرئيسية للرواية فإنه يُعتبر استرجاعاً فرعياً. ومن بين النماذج الأخرى للاسترجاع الخارجي الفرعي التي يمكن العثور عليها في الصفحات التالية: ١٠، ٢٠، ٣٠، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٥٨، ٧١، ٨٤، ٩٤، ١٠٥، ١٠٨، ١٣٤، ١٥٨، ١٦٦.



٤. ٣. ١. الاسترجاع المزجي

إذا كانت فترة الاسترجاع تقع قبل بداية السرد الأولي، ولكنها في مرحلة لاحقة من القصة تتصل بالسرد الأولي أو تتجاوزه زمنياً، يُطلق على هذه الحالة الاسترجاع المختلط أو الاسترجاع المزجي (يعمون كينان، ١٣٨٧: ٦٥-٦٧). «وتكمن وظيفة هذا الاسترجاع، بالإضافة إلى حركية الزمن القصصي، في مساعدة الكاتب على تشكيل المضمون السردى في مستوياته المتعددة» (گودرزي وزندنا، ١٣٩٢: ٤٧).

ومن أمثلة هذا الاسترجاع في رواية «ستائر العتمة» يمكن الإشارة إلى زمن يكون عامر على وشك مغادرة السجن، ويضع المحققون نظارة سوداء على عينيه، فيتذكر في الحال ويقول: «قِيلَ أَنَّ تَحْطُوَ قَدَمَاهُ أَلْخَطُوهُ الْأَوَّلِي خَارِجَ الزُّنَّانَةِ، وَضَعُوا عَلَى عَيْنَيْهِ نَظَّارَةً سَوْدَاءَ لَا يَرَى مِنْهَا أَيْ شَيْءٍ... كَانَ قَدِيمًا، الْكَيْسُ الثَّنِي الَّذِي يُعْرِقُ الصُّورَ بِرَائِحَتِهِ الْقَذِرَةِ.. أَمَّا هَذِهِ النَّظَّارَةُ، فَهِيَ تَحْصُرُ مِنْ ذَاكَ الْكَيْسِ.. مَكَرَ عَلَى صُورَةٍ تَطَوَّرَ وَارْتَفَاءً.. كَانَ قَدِيمًا، يَجْرُهُ رَجُلُ الْمَخَابِرَاتِ مِنْ أَسْفَلِ الْكَيْسِ، كَمَا تَجْرُ الدَّابَّةُ.. الْيَوْمَ يُؤْخَذُ بِاخْتِرَامٍ مُغْلَفٍ بِالْحَدِيدَةِ» (المودلى، ٢٠٠٣: ٣٥). هذا نموذج للاسترجاع المزجي، لأنه استرجاع خارجي يتعلق بتجربة «عامر» خلال السنوات الخمس الماضية، والذي أصبح الآن جزءاً من نسج القصة الداخلي ويتداعى في ذهن عامر. كما يمكن العثور على نماذج أخرى للاسترجاع المزجي في الصفحات: ٣٦، ٥١، ٨٦ من الرواية.

٤. ٢. الاستباق الزمني

الاستباق هو أسلوب يُوجد فيه القارئ دائماً أثناء قراءة الرواية في انتظار مواجهة أحداث قد أشار إليها الكاتب في النص القصصي وهو يختص بالحلم والقصة الخيالية. والاستباق أقل شيوعاً من الاسترجاع ويظهر غالباً في السرد بضمير المتكلم؛ لأنه «في هذه الروايات يبدو طبيعياً أن يقفز الراوي بين الحين والآخر إلى أحداث لاحقة تكون أقرب إلى الزمن الحالي لنفس الراوي» (تولان، ١٣٨٦: ٨٦). ومعنى الاستباق في القصة هو سرد أحداث لم تحدث بعد، فهي تتجاوز زمن القصة وتعدُّ مُقدِّمةً بالمقارنة مع أحداثها (جنيت، ١٩٩٧: ٥١). الاستباق الزمني، هو نوعٌ من توظيف قوة الخيال في تقدير الأحداث المستقبلية، مما يُحفِّز مشاركة القارئ الفعالة في السرد (گودرزي وزندنا، ١٣٩٢: ٥٧). «ففي الاستباق يتخلى الكاتب عن التسلسل الزمني الخطي ليُعبر عن أمورٍ يُتوقع حدوثها لاحقاً بناءً على التخمين. ومعنى آخر، إذا قامت الشخصية بالتنبؤ بأحداث مستقبلية عبر «الانتقال إلى المستقبل»، أو «النبوءة»، أو «الاستباق»، أو من خلال «براعة الاستهلال»، يُسمَّى ذلك «استشرافاً» أو «فلاش فوروارد» (صهبا، ١٣٨٧: ١٠٧). الاستشراق، هو أسلوبٌ يعتمد على توظيف قوة الخيال في توقُّع الأحداث المستقبلية، مما يُحفِّز مشاركة أكثر حيويةً من القارئ في السرد. فالإخبار بأحداث لم تحدث بعد سيؤدِّي إلى أنَّ القصة تتمتع بحركة ديناميكية وخطة مُحكمة (القصراوي، ٢٠٠٤: ٢١٢).

الاستباق في رواية «ستائر العتمة» هو في الحقيقة توقُّعات يُقدم عليها «عامر» تجاه الأحداث أو قرارات ينوي اتخاذها، وبالتالي إنَّها لم تُؤخذ بعين الاعتبار من حيث التحقق أو عدمه؛ إذ تقع في نطاق الاحتمالات. ومن جهة أخرى، فإن الراوي - بسرده بصيغة المتكلم - يطرح هذه التوقعات دون أن يكون له إدراك كامل بالمستقبل. إذن يخلق هذا الأسلوب التنبؤي نوعاً من الحيرة والتساؤل لدى القارئ: كيف ستنقل الشخصيات والأحداث من الوضع الراهن إلى ذلك المستقبل الذي سبقت الإشارة إليه؟.

٤.٢.١. الاستباق الداخلي

قد يقوم أحد الشخصيات الروائية بالتنبؤ بحدث أو واقعة لم تحدث بعد، سواء فيما يخص نفسه أو الشخصيات الأخرى. فإذا تحقق هذا التنبؤ خلال الإطار الزمني للسرد الرئيسي، يُصنّف على أنه «استباق داخلي» (تاجي، ١٣٩٧: ٢١). ويتم التمييز هنا بين النوعين من الاستباق. الاستباق الداخلي الرئيسي: إذا ارتبط بالحدث أو الشخصية المحورية. والاستباق الداخلي الثانوي: إذا تعلّق بالشخصيات أو الأحداث الفرعية. ويوضح رمون كينان أنّ الاستباق الداخلي «يغطي فترة زمنية سابقة أو لاحقة للنقطة التي يبدأ عندها السرد الأساسي» (رمون كينان، ١٣٨٧: ٦٩).

في القسم الأول من رواية «ستائر العتمة»، يكسر الراوي الزمن الحاضر ليتنقل إلى المستقبل، معبراً عن هواجس «عامر» تجاه الأحداث المستقبلية عبر حوار داخلي غير مباشر: «كَانَ عَامِرٌ يَتَقَلَّبُ فِي زُنْزَانَتِهِ، كَمَنْ وَقَعَ صَرِيحاً لِأَمِّ أَضْرَاسِهِ.. يُعِيدُ تَرْتِيبَ مُجَرَّيَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي أَوْدَتْ بِهِ إِلَى هَذَا الْمَصِيرِ.. إِنَّهُ مُصَوِّرٌ زَهِيْبٌ يَقْضُ مَضْجَعَهُ، وَيَخْرُجُ مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ أَخْزَانِهِ.. أَنْ تَعُوذَ رَحْلَةُ الْأَسْرِ وَالْقَيْدِ مَرَّةً أُخْرَى.. إِنَّهَا طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ لَمْ أَكُنْ أَقْدِرُهَا حَقَّ قَدْرِهَا» (المودلي، ٢٠٠٣: ٨). إذن في هذا المقطع نرى أن عامر يفكر في العودة إلى السجن، مما يجذب انتباه القارئ ويشركه في استكمال الأحداث. وبما أن هذه القفزة نحو المستقبل تتحقق داخل أحداث الرواية، فإنها تُعتبر استباقاً داخلياً، كما أنها استباق داخلي رئيسي لارتباطها بالشخصية المحورية للرواية. ويمكن العثور على نماذج أخرى للاستباق الداخلي الرئيسي في الصفحات: ٤٣ و ٧٩. أما الاستباق الداخلي الثانوي، فإن كان يتحرك ضمن مسار القصة الرئيسي، إلا أنه يسعى إلى التنبؤ بسلوكيات وحركات الشخصيات الثانوية في القصة ويتم سرده بلغة الراوي. نرى مثل هذا الاستباق الداخلي في المقطع الذي يُظهر عامر رأيه حول السجن الجديد الذي يلتحق به في السجن، عبر الحوار الداخلي: «وَدَارَتْ فِي رَأْسِ عَامِرٍ الْظُنُونُ.. مَا هُوَ سِرُّ هَذَا الضَّيْفِ؟! قَدْ يَكُونُ عُصْفُورًا! هَلْ يَسْتَعْمِلُونَ مَعِيَ أَنَا أَسْلُوبَ الْعَصَافِيرِ الَّذِي أَكَلَ مِنْهُ الدَّهْرُ وَ شَرِبَ؟! ضَعُ كُلَّ الْاِحْتِمَالَاتِ، وَلَا تَعْفَلْ أَحَدَهَا أَبَدًا، خَاصَّةً الْاِحْتِمَالَ الْأَسْوَأَ، وَأَنْتَ فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ الْعَصَبِيَّةِ» (ن، ١٤). إذن في هذا المقطع من الرواية، القارئ يكون في حالة تعليق تجعل نفسه يتابع القصة ليرى هل يتحقق تخمين عامر أم لا!. في مثال آخر، بداية الفصل الثاني من الرواية عندما يواجه عامر المحقق الأول بعد تسعة أيام ويجري بينهما حوار، فيستمر الحوار ويقول المحقق الأول (كابتن داني) لعامر أنه سيعطيه دليلاً لنبل وإبراهيم، وبملاحظة حرف «السين» في «سأعطيك» يمكن الإشارة إلى الاستباق الداخلي في هذا المقطع: «اسْمَعْ يَا عَامِرُ، بِصِفَتِكَ صَدِيقاً قَدِيمًا، وَأَنَا أَقْدَرُ صِدَاقَتَكَ، سَأَعْطِيكَ طَرَفَ الْحَيْطِ. إِبْرَاهِيمُ وَنَبِيلُ، تَعْلَمُ أَهْمُ عِنْدَنَا» (ن، ٣٧). إذن الاستباق في هذا المقطع من الرواية يكون داخلياً لأنه يتحقق داخل إطار القصة كما يكون استباقاً فرعياً بسبب علاقته بشخصيتي نبيل وإبراهيم الثانويتين. ولرؤية أمثلة أخرى على هذا النوع من الاستباق، يُمكن الرجوع إلى الصفحات: ٨، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ١٨، ٤١، ٥٩، ٦٢، ٧٨، ٨٠ من الرواية.

٤.٢.٢. الاستباق الخارجي

قد لا تتحقق توقعات الشخصيات أو تنبؤاتها المستقبلية أو تمنياتها بحلول نهاية النص، بل يؤجلها الراوي إلى ما بعد الزمن الرئيسي للرواية. ويُطلق على هذا الأسلوب مصطلح الاستباق الخارجي. يُعرّف رمون كينان الاستباق خارج النص بأنه: «إذا تجاوز الاستباق الإطار الزمني للسرد الرئيسي، فإنه يُعدّ استباقاً خارجياً أو خارج النص» (رمون كينان، ١٣٨٧: ٦٩). ويُشار هنا إلى تمييز مهم: إذا كان الاستباق يتعلّق بالشخصية الرئيسية أو الحدث المركزي، سُمّي «استباقاً خارجياً رئيسياً»، أما إذا ارتبط بالشخصيات الثانوية أو

الأحداث الفرعية، فحينئذ يُصنّف كـ «استباق خارجي ثانوي». على سبيل المثال، عندما كان عامر يُطلق سراحه من الزنانة، قال له زميله السجين: «بَارَكَ اللهُ فِيكَ..أَنَا سَأَلْتُ بِكَ بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ إِنْ شَاءَ اللهُ.. قُلْ لِّهِمْ إِيَّيْ غَيَّرْتُ بِشَيْءٍ. سَتُنَبِّئُ بَرَاءَتِي، وَ سَرْعَانَ مَا سَأَعُوذُ إِلَيْهِمْ سَالِمًا غَائِمًا، بِإِذْنِ اللهِ» (الهودلي، ٢٠٠٣: ٢٩). هذا الاستباق يُعتبر خارجياً ورئيساً لأنه لا يتحقق حتى نهاية القصة، فيظل ذهن القارئ مُنشغلاً بالسؤال: «كيف سيحدث هذا الحدث؟»

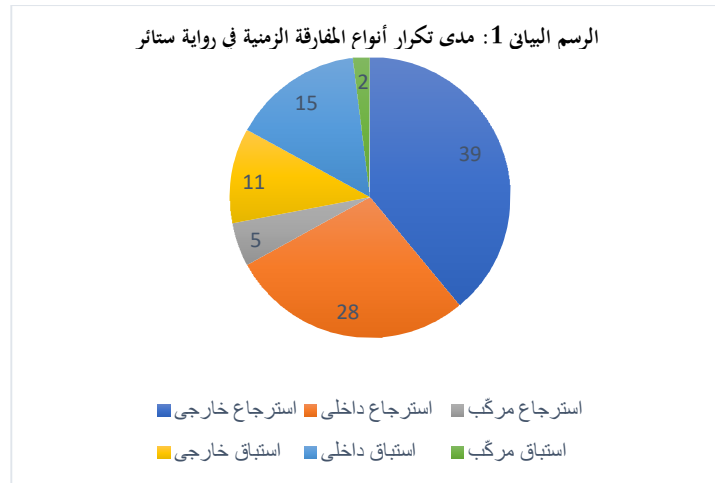
وفي نموذج آخر: عندما كان عامر يتجادل مع شلومو، اقترح شلومو استخدام جهاز كشف الكذب لأخذ اعترافٍ من عامر، ثم الحكم عليه بناءً على نتائجه. هنا يوضع القارئ في حالة ترقبٍ يتساءل فيها: هل سيستخدمون هذا الجهاز فعلاً للحكم على عامر أم لا؟! «عندي فكرة يا عامر.. وجدتها.. إنها خيرٌ وسيلةٌ إلكترونية لا غبارٌ عليها.. هل سمعتَ بجهاز الكشف عن الكذب؟ هم يقولون أن عليكِ إغترافات، وأنت تقول: هذا كلامٌ غيرٌ صحيح.. إذا، نحكمُ هذا الجهاز والمئة تكذبُ الغطاس.. فكرةٌ بسيطةٌ، ولكنها رائعة..» (م.ن، ٩٤). بما أنه لم يتم استخدام كاشف الكذب لعامر، فإن هذا الاستباق يُعتبر خارجياً، وبسبب ارتباطه بشخصية عامر يُصنّف على أنه رئيسي. للاطلاع على نماذج إضافية من هذا النوع من الاستباق يُمكن الرجوع إلى الصفحات: ٧٦، ٧١، ٨٤، ١٠٠، ١٠٥، ١٠٦. ومن نماذج الاستباق الخارجي الفرعي في الرواية يمكن الإشارة إلى مقطع كان عامر يتجادل مع المحقق شلومو، ويخبر من الزنانة المجاورة صوت المحقق «إيلان» وهو يستجوب فتاةً، وكان يُهدّدها بانعدام العقبة. فتساءل عامر في نفسه: لم أسمع هذه الأصوات؟ ماذا لو كانت أُمِّي أو زوجتي أو ابنتي مكانَ هذه الفتاة؟! «أتدريين ماذا سَنَفْعَلُ مَعَكَ إِنْ لَمْ تُقُولِي كُلَّ مَا عِنْدَكَ؟ أ تَتَسَيَّرُ أَنَّكِ بِنْتُ وَ قَدْ أَصْبَحْتَ بَيِّنٌ أُدِينَا... بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَفْعَلَ مَا نَشَاءُ نَحْنُ نَذْكُرُكَ، فَقَطْ» (م.ن، ٨١). يُصنّف هذا الاستباق وخوف عامر وتوقعاته خارجياً (خارج نطاق السرد) لأنه لا يتحقق لاحقاً في القصة، حيث لا يُذكر أي حديثٍ عن التعذيب الجسدي فيما بعد. وبسبب ارتباط هذا الاستباق بزوجة عامر وأُمّه فيمكن اعتباره فرعياً. للاطلاع على نماذج أخرى لهذا النوع من الاستباق، يُمكن الرجوع إلى الصفحتين: ٤٤ و ١٠١ من الرواية.

٥.٢.٣. الاستباق المزجي

يتشكّل هذا النوع من الاستباق السردى من خلال الدمج بين الاستباق الخارجي والاستباق الداخلي. حيث يوضح غلامحسين زاده وآخرون (١٣٨٦: ٢٠٤) أنَّ «الاستباق المزجي يبدو ظاهرياً كاستباق خارجي، إلا أنه يرتبط لاحقاً بالسرد الرئيسي، ليتبين أنه كان يحتوي على النهاية المحددة مسبقاً للرواية». ويتميّز هذا النمط الاستباقي بأنه يُضَمّن عادةً النهاية المُعدّة سلفاً للنص السردى ويقوم الراوي من خلاله برسم مآل الأحداث للقارئ بشكل استباقي.

على سبيل المثال في قسم من الرواية نرى عندما كان المحققان إيلان وشلومو يُصرّان على استخدام جهاز كشف الكذب، كان عامر يُصرّ بدوره على موقفه المتمثل في الاستعانة بشخص محايد لإجراء التقييم باستخدام الجهاز. وفي اللحظة نفسها، هدّد المحقق إيلان بأنه سيقضي وقتاً طويلاً في الحبس وسيتمّ تمديد فترة احتجازه حتى يهلك في السجن: «لَمْ تُغْلِلْ رَأْسَكَ الْزُّنَانَةُ.. وَلَدٌ عَنِيدٌ.. يَظْهَرُ سَنَسْتَضِيفُكَ عِنْدَنَا أَشْهُراً طَوِيلَةً.. عَلَى الرَّحْبِ وَالْبَيْعَةِ، الْبَيْتُ بَيْتُكَ، تَمْدِيدٌ وَرَاءَ تَمْدِيدٍ، إِلَى أَنْ تَتَعَفَّنَ فِي الزَّنَازِينِ» (الهودلي، ٢٠٠٣: ٩٧). من علامات الاستباق في هذا المقطع: حرف السين الدالّ على المستقبل في فعل «سنستضيفك»، «إلى» الانتهائية. وهذا الاستشراق يُعتبر مزجياً، لأن جزءاً منه يحدث داخل الرواية (تمديد حبس عامر)، بينما الجزء الآخر يتعلق بمحلكه في السجن وطول مدة حبسه ولا يقع ضمن النطاق الزمني للقصة.

إذن في ضوء ما أسلف يمكن عرض الرسم البياني التالي ومن أجل تقديم رؤية شمولية تُبين المعدل الدقيق لتكرار المفارقة الزمنية في رواية "ستائر العتمة":



كما يتبين من الرسم البياني أعلاه، فإن الاسترجاع الخارجي (خارج النص) يحتل المرتبة الأولى من حيث التكرار بـ ٣٩ مثلاً، يليه الاسترجاع الداخلي (داخل النص) بـ ٢٨ مثلاً، بينما يحتل الاستباق المرجعي أدنى مرتبة بتكرار مرتين فقط. وبالاستناد إلى هذا الرسم البياني، يمكن القول إن رواية «ستائر العتمة» تضمنت ٢٨ مثلاً من الاسترجاع الداخلي، و ١٥ مثلاً من الاستباق الداخلي، و ١١ مثلاً من الاستباق الخارجي، وأخيراً ٥ أمثلة من الاسترجاع المرجعي.

النتائج

كشفَ البحثُ والتحليلُ لرواية «ستائر العتمة» بناءً على نظرية الترتيب الزمني عند جيرار جينيت أنَّ سردَ هذه الرواية يأتي بشكلٍ زمني مضطرب؛ حيث يخرُجُ الزمنُ في بعض أجزاء الرواية عن سيره التاريخي الطبيعي ويخضع للمفارقة الزمنية. وفي الإجابة عن السؤال الأول للبحث، أظهرت النتائج أنَّ المفارقة الزمنية في رواية «ستائر العتمة» قد تجلّت في أنواعها المختلفة، وهي: الاسترجاعات الداخلية والخارجية والمرجعية وكذلك الاستباقات الداخلية والخارجية والمرجعية. بخصوص سبب اعتماد الكاتب على المفارقات الزمنية هذه، يمكن ذكر أسباب عديدة منها: صياغة العلاقات السببية بين الأفعال، تقديم شخصيات الرواية للقارئ وإعطاء معلومات عن ماضيها، إزالة الغموض وتوضيح الأحداث التي وقعت في الماضي، التأثير في مسار الحركة أو الخط السردى الرئيسي، كسر التسلسل الزمني للأحداث بهدف تحميل النص السردى، الخروج به من رتابة التسلسل التقليدي، اللعب بذهن القارئ لخلق التشويق وتحفيزه على متابعة الأحداث. يتمثل الزمن السردى للقصة في أن سرد أحداث الرواية يبدأ بترتيب زمني يعتمد على العودة إلى الماضي، حيث تُشكّل الاسترجاعات والاستباقات الصبغ الأساسية لاختلال التسلسل والنظام في السرد. وفي الحقيقة، فإن الشخصية المحورية في القصة -عامر- تستعين بتقنية الاسترجاع الخارجي والعودة الزمنية المتكررة ملء الفجوات التي يخلقها الراوي أو الشخصيات الأخرى في النص السردى. ونتيجةً



لذلك، يتشكل النسق الزمني للرواية بطريقة تحوّل فيها الزمن القصصي بشكل متماسك ومنهجي إلى زمن سردي، مما يمكن القارئ من تتبّع مسار هذا التحوّل عبر العلامات التي استخدمها الكاتب.

في الإجابة عن السؤال الثاني، ووفقاً لتحليل العيّات (الرسم البياني رقم ١)، يتبيّن أن الاسترجاع الخارجي هو أكثر عناصر المفارقة الزمنية تكراراً في رواية «ستائر العتمة». ويمكن إرجاع سبب هذا التكرار إلى الاضطراب النفسي للشخصية الرئيسية (عامر). تتسم الرواية باعتماد ملحوظ على الاسترجاع الزمني الخارجي، بهدف تصوير الأحداث التي عاشها البطل (عامر) خلال سنوات سجنه الخمس، وما تركته من آثار امتدت حتى اللحظة الراهنة في الزمن القصصي. لقد أدّى الاضطراب الذهني لعامر - الناجم عن تجربته السجنية الطويلة - إلى هيمنة أحداث الماضي الأليمة، وتركزها حول شخصه، على معظم الزمن الروائي.

المصادر

- احمدى، بابك، (١٣٧٥). ساختار و تأويل متن. ج ٣. تهران: مركز.
- آسايگر، آرئور، (١٣٨٠)، رواية در فرهنگ عاميانه، رسانه و زندگى روزمره، ترجمة محمدرضا ليراوى، ج اول، تهران: سروش.
- تاجي، زهرا، (١٣٩٧)، «بررسی زمان‌روایی در سه رمان امیرحسین فردی (گرگ سالی، سیاه چ من، اسماعیل)»، پایان‌نامه کارشناسی ارشد، رشته زبان و ادبیات فارسی، دانشگاه زابل.
- تودوروف، تزوتان. (١٣٩٢). بوطیقای ساختارگرا. ترجمه محمد نبوی. تهران: آگاه.
- تولان، مایکل، (١٣٨٦). روایت شناسی (درآمدی زیانشناختی - انتقادی)، ترجمه فاطمه علوی و فاطمه نعمتی، تهران: سمت.
- خائفی، عباس، مبارکی، سهیلا، (١٣٩١). «بررسی زمان روایت و رابطه‌ی آن با جریان سیال ذهن در رمان دلدادگی»، انجمن علمی زبان و ادبیات فارسی، دانشگاه شهید بهشتی، ششمین همایش ملی پژوهش‌های ادبی، ش ٦٥ و ٦٦، ص ١-٣٤.
- رمون کنان، شلومیت، (١٣٨٧). روایت داستانی بوطیقای معاصر. ترجمه ابوالفضل حرّی. تهران: نیلوفر.
- سرباز، حسن. رسول‌نژاد، عبدالله. خسروی‌زاده، سودابه، (١٣٩٤). زمان پیریشی در رمان «چراغ‌های آبی» حنا مینه، مجله علمی- پژوهشی انجمن ایرانی زبان و ادبیات عربی، ش ٣٤، ص ٨٣-١٠٤.
- صهباء، فروغ، (١٣٨٧)، «بررسی زمان در تاریخ بیهقی براساس نظریه زمان در روایت»، فصلنامه پژوهش‌های ادبی، س ٥، ش ٢١، ص ٨٩-١١١.
- غلامحسین‌زاده، غلامحسین، طاهری، قدرت‌الله، رجبی، زهرا، (١٣٨٦)، «بررسی عنصر زمان در روایت با تأکید بر حکایت اعرابی و درویش در مثنوی»، پژوهش‌های ادبی، سال چهارم، ش ١٦، ص ١٩٩-٢١٧.
- فاضلی، فیروز؛ تقی‌زاد، فاطمه، (١٣٨٩)، «روایت زمان در رمان از شیطان آموخت و سوزاند»، مجله ادب پژوهی، دانشگاه گیلان، ش ١٢، ص ٧-٣٠.
- قاسم، سیزا، (٢٠٠٤)، بناء الرواية دراسة مقارنة فی ثلاثية نجيب محفوظ، القاهرة، مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة.
- قاسمی‌پور، قدرت، (١٣٨٧). زمان و روایت، فصلنامه نقد ادبی، دانشگاه تربیت مدرس، سال اول، ش ٢، ص ١٤٤-١٢٣.
- القصرای، مهنا حسن، (٢٠٠٤)، الزمن فی الرواية، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات و النشر.
- گودرزی لمراسکی، حسن، زندنا، معصومه، (١٣٩٢)، «جریان سیال ذهن در رمان «الشّحاذ» اثر نجیب محفوظ»، فصلنامه لسان مبین (پژوهش ادب عربی)، ش ١١، ص ١٦١-١٧٩.
- لوته، یاکوب، (١٣٨٨)، مقدمه‌ای بر روایت در ادبیات و سینما، ترجمه‌ی امید نیک فرجام، تهران: مینوی خرد.

- الهودلي، وليد، (٢٠٠٣)، ستائر العتمة: تسعون يوماً من المواجهة الملتهبة في زنازين بنى صهيون، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي.

References

- Ahmadi, Babak. (1996). Structure and Interpretation of Text. 3rd ed. Tehran: Markaz. (In Persian)
- Asa Berger, Arthur. (2001). Narratives in Popular Culture, Media, and Everyday Life. Translated by Mohammad Reza Liravi. 1st ed. Tehran: Soroush. (In Persian)
- Todorov, Tzvetan. (2013). Structuralist Poetics. Translated by Mohammad Nabavi. Tehran: Agah. (In Persian)
- Toolan, Michael. (2007). Narrative: A Linguistic-Critical Introduction. Translated by Fatemeh Alavi and Fatemeh Nemati. Tehran: SAMT. (In Persian)
- Rimmon-Kenan, Shlomith. (2008). Contemporary Narrative Poetics. Translated by Abolfazl Horri. Tehran: Niloufar. (In Persian)
- Lothe, Jakob. (2009). Introduction to Narrative in Literature and Cinema. Translated by Omid Nikfarjam. Tehran: Minu-ye Kherad. (In Persian)
- Taji, Zahra. (2018). A Study of Narrative Time in Three Novels by Amir Hossein Fardi (Gorg-Sali, Siah-Chaman, Esmail). MA Thesis, Persian Language and Literature, University of Zabol. (In Persian)
- Khaefi, Abbas, and Soheila Mobaraki. (2012). "The Study of Narrative Time and Its Relationship with Stream of Consciousness in the Novel 'Deldadegi'." Scientific Association of Persian Language and Literature, Shahid Beheshti University 5-6: 1-34. (In Persian)
- Sarbaz, Hassan, Abdollah Rasoulnejad, and Soudeh Khosravizadeh. (2015). "Anachronism in the Novel 'Blue Lamps' by Hanna Mina." Iranian Journal of Arabic Language and Literature 34: 83-104. (In Persian)
- Sahba, Forough. (2008). "A Study of Time in Bayhaqi's History Based on Narrative Time Theory." *Literary Research Quarterly 5(21): 89-111. (In Persian)
- Gholamhosseinzadeh, Gholamhossein, Ghodrattollah Taheri, and Zahra Rajabi. (2007). "The Element of Time in Narrative with Emphasis on the Story of the Arab and the Dervish in Masnavi." Literary Research 4(16): 199-217. (In Persian)
- Fazeli, Firooz, and Fatemeh Taghinejad. (2010). "Narrative Time in the Novel 'Learned from Satan and Burned'." Adab Pazhuhi Journal, University of Guilan 12: 7-30. (In Persian)
- Ghasemipoor, Ghodratt. (2008). "Time and Narrative." Literary Criticism Quarterly, Tarbiat Modares University 1(2): 123-144. (In Persian)



- Godarzi Lemraski, Hassan, and Masoumeh Zandana. (2013). "Stream of Consciousness in the Novel 'The Beggar' by Naguib Mahfouz." Lisan-e Mobin (Arabic Literature Research) 11: 161-179. (In Persian)
- Qasim, Sayyid. (2004). The Structure of the Novel: A Comparative Study of Naguib Mahfouz's Trilogy. Cairo: Family Library, Reading for All Festival. (In Arabic)
- Al-Qasrawi, Muhammad Hassan. (2004). Time in the Novel. 1st ed. The Arab Institution for Studies and Publishing. (In Arabic)
- Al-Hudhali, Walid. (2003). Pillars of Darkness: Ninety Days of Fiery Confrontation in Zionist Prisons. The Palestinian National Guidance Institution. (In Arabic)



فصلنامه مطالعات روایت‌شناسی عربی

شاپا چاپی: ۷۷۴۰-۲۶۷۶ شاپا الکترونیک: ۰۱۷۹-۲۷۱۷



دانشگاه خوارزمی

بررسی و تحلیل زمان‌پریشی در رمان "ستائرالعمته" ولیدالیهودلی، براساس نظریه

زمان‌روایی ژرار ژنت

فاطمه محبت^۱ سجاد اسماعیلی،*^۲ علیرضا حسینی^۳

چکیده

زمان در رمان‌ها اغلب سیر افقی و خطی را پیش می‌گیرد اما گاهی نوعی بی‌نظمی در زمان داستان به وجود می‌آید که ژرار ژنت، نظریه‌پرداز ساختارگرای فرانسوی آن را زمان‌پریشی نامیده است. رمان «ستائرالعمته» نوشته ولیدالیهودلی نمای نود روزه‌ی پر تب و تاب عامر (قهرمان داستان) در سیاه چال‌های صهیونیسم است که عنصر زمان در باورپذیری زندگی شخصیت اصلی داستان و روحيات و ویژگی‌های او در ذهن خواننده نقش مؤثری دارد. داستان ستائرالعمته، با بی‌نظمی زمان‌های سه گانه درگیر بوده و با توجه به چرخش‌های متعدد زمانی قابلیت انطباق بر نظریه زمان‌روایی ژرار ژنت را دارد. از اینرو پژوهش حاضر بر آن است تا با روش توصیفی-تحلیلی به بررسی زمان‌پریشی در رمان مذکور بر مبنای نظم و ترتیب زمانی ژرار ژنت بپردازد. نتایج حاصل از پژوهش نشان داد که رمان حاضر با زمان‌پریشی نظریه ژنت همخوانی دارد و ولیدالیهودلی در این رمان، اغلب نظم و توالی خطی داستان را برهم زده است و از انواع گذشته‌نگرها و آینده‌نگرها در زمان متن روایی بهره برده است و به شخصیت‌ها و رویدادها عمق و غنای بیشتری بخشیده است. این زمان‌پریشی‌ها علاوه بر کمک به درک عاطفی شخصیت‌ها، تجربه‌ی خوانش را به تأملی عمیق‌تر در مورد مفهوم زمان و چگونگی تأثیر آن بر تجارب انسانی تبدیل می‌کند.

کلیدواژگان: روایت‌شناسی عربی، زمان، زمان‌پریشی، ژرار ژنت، ستائرالعمته، ولیدالیهودلی.

تاریخ پذیرش: ۱۴۰۴/۰۲/۳۱

تاریخ دریافت: ۱۴۰۳/۱۲/۱۷

فصل زمستان ۱۴۰۴ (سال هفتم، شماره ۱۹)، صص. ۸۵-۱۰۰

^۱ دانشجوی کارشناسی ارشد زبان و ادبیات عربی، دانشگاه بین‌المللی امام خمینی (ره)، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، قزوین، ایران. s4012184008@edu.ikiu.ac.ir

^۲ دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه بین‌المللی امام خمینی (ره)، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، قزوین، ایران. (نویسنده مسئول): esmaili@hum.ikiu.ac.ir

^۳ استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه بین‌المللی امام خمینی (ره)، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، قزوین، ایران. a.hosseini@hum.ikiu.ac.ir

